

## الترجمة بين الإبداع والنشر

أ.د. توفيق العلوي

المدير العام لمعهد تونس للترجمة

ليس الموضوع في استعراض أنواع المقاربات في الترجمة ( السوسيوثقافية، التواصلية، اللسانية، السيميائية وغيرها)، وليس هو في الأسئلة الكلاسيكية، أنترجم المعنى أم اللفظ؟ وليس هو في سبل ترجمة الإبداع وحاجة النصّ الإبداعيّ إلى مترجم مبدع، وغير ذلك من الإشكالات الهامة المتداولة، وما هو كذلك في إشكالية نشر الكتب المترجمة وتوزيعها، فهذا، على أهميته، معروف متداول. ورغم قيمة هذه الإشكالات على تداولها وشيوعها، فإننا لحدود المطلوب في هذا المؤتمر الهامّ، اخترنا إشكالية واحدة، مدارها الترجمة في علاقتها بالإبداع والنشر، وسنكتفي في هذا بدراسة غلاف الكتاب باعتباره إحدى عتبات الكتاب الأساسية التي تعتبر فضاء إبداعياً يخدم الكتاب عموماً، والكتاب المترجم خصوصاً.

ونشير أولاً إلى أنّ الكتاب إذا ترجم ونشر في نفس المؤسسة، فإنّ ذلك يغبطه حقّه في لمسة ناشر مختصّ ومصمّم فنّان مبدع تساهم في تسويقه، ويفوّت عليه أن ينتقل الكتاب في حلقاته العادية من الترجمة إلى النشر في مراحلها المختلفة، ويحرمه من أبعاد جمالية فنية تخدمه زمن التلقّي، وحين رؤية الكتاب أول مرّة. فأن يكون الكتاب تحت سلطة مؤسسة واحدة، تترجمه، وتشره دليل على اختلاط الأمور العلمية بمواصفات النشر الفنية بما من شأنه ألاّ يطوّر الكتاب في شكله وجماليّته. والعتبة Le Seuil حسب جرار جنات هي النصوص الموازية للنصّ الأصليّ، مثل العنوان والمقدمة والخاتمة وغيرها، بل لا يوجد ولم يوجد قطّ نصّ دون نصّ مواز Paratexte في حين أنّ العكس ممكن، إذ ثمة آثار لا نعرف منها إلاّ العناوين<sup>1</sup>. والنصّ الموازي حسب جنات ما به يكون النصّ كتاباً ويظهر كما هو للقراء، فالنصّ الموازي بهذا عتبة<sup>2</sup>، وفي هذا الإطار، نعتبر أنّ غلاف الكتاب عتبة أساسية ونصّ موازٍ ضروريّ، والمدار الأساسيّ في مقاصدنا.

<sup>1</sup> - Genette, Gérard, Seuil, Editions du Seuil, col. Poétique, 1987, p 9.

<sup>2</sup> - Idem, p 7

ويذكر جنات أنّ تحديد النصّ الموازي يكون بضبط عدّة خصائص، منها الخصيصة الفضائيّة *Caractéristique spatiale* والخصيصة الزمانيّة *Caractéristique temporelle* والخصيصة التداوليّة *Caractéristique pragmatique* والخصيصة الوظيفيّة<sup>3</sup> *Caractéristique fonctionnelle* . ومن أهمّ هذه الخصائص المذكورة المنطبقة بصفة مباشرة على غلاف الكتاب هي الخصيصة الفضائيّة المستقطبة لرؤية القارئ، والتي يسمّيها جرار جنات النصوص المصاحبة *Péritexte* مثل المقدمة والعناوين وأشباه العناوين.

ويمكن أن نطرح في الغلاف نفس الأسئلة تقريبا التي طرحها جنات في المقدّمة الأصليّة وغيرها، قصد "ي تأمين قراءة جيّدة للنصّ " <sup>4</sup> ، ومن هذه الأسئلة، لماذا؟ *Pourquoi* ، كيف؟ *Comment* ؟<sup>5</sup> . وبناء على هذا، يمكن أن نتساءل عن أسباب تصميم صورة الغلاف على شكل دون آخر، وعن كيفيّة قراءتها سيميائيًا. فالغلاف علامة سيميائيّة، فهو في عنوانه واسم مؤلّفه علامة لسانيّة، وهو في ما يحمله من صورة أو رسم علامة غير لسانيّة، فعلم السيميائيّات خير مجال لدراسته باعتباره علما يدرس العلامتين المذكورتين.

والعلامة حسب الفيلسوف الأمريكي شارل بيرس *Charles Peirce* تنقسم إلى ثلاثة، الرمز والأيقونة والقرينة، وكلّها تقوم على علاقات ما بين العلامة وموضوعها أو محتواها أو المقصد منها: القرينة: تقوم على الجوار الفعليّ بينها وبين موضوعها.

الرمز: يرتبط بالرموز إليه بعلاقة اعتباطيّة لا يحكمها رابط منطقيّة أو سببيّ أو طبيعيّ.

الأيقونة: يربطها بموضوعها شبه ما، فخصيستها شبهها بموضوعها *son objet* ) : 1978 , ( Peirce 149 ) ، فالشبه يمثّل الرابط بين العلامة ومحتواها، وبناء على هذا، يمكن أن نعتبر أنّ صورة غلاف الكتاب:

علامة قرينيّة: تمثّل تجوّزا قرينة مجاورة لموضوعها في محتوى الكتاب.

علامة رمزيّة: إذا كانت هذه الصورة في علاقة اعتباطيّة بمحتوى الكتاب، فهذا يعني ألا صلة لها به منطقيًا أو سببيًا، ويحتاج القارئ في هذا إلى اجتهاد كبير ليوجد الصلة بين الرمز والرموز إليه.

علامة أيقونيّة: يمكن لصورة غلاف الكتاب أن تمتّ بصلة ما إلى المحتوى، فتؤسّس شبهها به وإن جزئيًا (صورة ما تحيل على شبه ما في المحتوى).

<sup>3</sup> - Idem , p 10

<sup>4</sup> - Idem , p 183

<sup>5</sup> - Idem , p 183

وبناء على هذا، يمكن أن يتحوّل الناشر إلى مبدع فنّان، يستثمر صورة الغلاف لتصبح هذه الصورة علامة سيميائية قابلة لعدّة قراءات، وعتبة ندخل بها المحتوى، غير أنّ صورة الغلاف في الكتاب المترجم تحمل خصائص عديدة ترتبط بالكتاب المترجم نفسه.

إنّ صورة الغلاف في الكتاب المترجم يمكن أن تمثّل صورة إبداعية تخدم الكتاب المترجم وتساهم في تسويقه، ذلك أنّ هذه الصورة في هذا الكتاب وجب أن تراعي ثقافة اللغتين، المترجم منها، والمترجم إليها، وحضارتهما، فيجب أن تكون منسجمة مع ثقافة اللغة المترجم إليها ومراعية لثقافة اللغة المترجم منها، ذلك أنّ الثقافات مختلفة، والمعتقدات والتقاليد والعادات وغيرها متنوّعة، فما يعدّ في ثقافة من البديهيات قد يعتبر في ثقافة أخرى غير ذلك، فمن الضروريّ أن تكون صورة الغلاف بالبعدين المذكورين حفاظاً على العلاقة الثقافية الفكرية بين الكتّابين، الكتاب الأصليّ، والكتاب مترجماً.

فالناشر يمكن أن يجعل من غلاف الكتاب المترجم فضاء إبداعياً يساهم في تأسيس عتبة رمزية في الحدود الدنيا، استناداً إلى رموز كونية أو رمزية مناسبة للغة المترجم إليها ومنسجمة مع اللغة المترجم منها.

ويمكن أن نتحدّث في الكتب المترجمة عن غلاف مجازيّ بخصوصيات ضرورية تتناسب اللغة والحضارة والثقافة المنقول إليها وتراعي خصوصيات اللغة المترجم إليها وحضارتها وثقافتها.

وتطرح هذه الخصوصيات العلاقة بين صورة الغلاف في الكتاب في لغته الأصلية والغلاف في اللغة المترجم إليها، فقد يكون البون شاسعاً لاختلاف الثقافات والمعتقدات والتصورات.

فصورة غلاف الكتاب المترجم عتبة أساسية ترفع من قيمة الكتاب المترجم، وتساهم في ترويجه وتوزيعه، وتؤسّس مع المقبل على الكتاب لحظة تلقّ إيجابية، والغلاف علامة مجازية، وبوابة هامة تستقبل القارئ قبل قراءته المحتوى، وخير عتبة تجسّد مقولة البلاغيين " البلاغة الإيجاز " .

### وبناء على هذا، يمكن اقتراح التوصيات التالية:

- ضرورة أن يكون الناشر فنّاناً مبدعاً يساهم في تصميم غلاف الكتاب عموماً، والكتاب المترجم خصوصاً، تصميم مبدع يساعد على نشر الكتاب وتسويقه.
- العمل على تأسيس دور نشر تولى الأهمية القصوى للكتاب المترجم لنحت هوية خاصة به انطلاقاً من جمالية تصميمه وفنّيات إخراجيه، ولهذا فمن حقّنا أن نحلم بدور نشر عربية تولى أهمية قصوى للكتب المترجمة، وتؤسّس لها "هوية ترجمية" تظهر في الغلاف بصفتين، هوية مؤسّسة الترجمة، وهوية دار النشر نفسها.

- ضرورة التنسيق بين مؤسسات الترجمة ودور النشر حتّى يضطلع كلّ بدوره، وحتّى تكون حلقات الكتاب في تسلسل طبيعيّ وظيفيّ، يكون فيها الناشر مبدعا بلمسته، وفنّانا بتصميمه.
- وجوب التفاعل بين مؤسسة الترجمة ودور النشر في اختيار الكتب المترجمة ضمانا لتوزيع الكتاب وترويجه، وفي هذا نقتراح مؤتمرات علميّة في الغرض لمزيد التنسيق خدمة للترجمة والكتاب المترجم.
- إبرام اتّفاقيّات بين مؤسسات الترجمة ودور النشر بإشراف اتّحاد الناشرين العرب تسعى إلى خدمة الكتب المترجمة جودة علميّة ونشرا وتوزيعا.
- ضرورة مزيد الدعم المالي من الدولة لمؤسسات النشر تشجيعا لها على لاهتمام بالكتاب المترجم باعتبار الترجمة مجالا فكريّا يساهم في حياة فكريّة متطوّرة، وثقافيّة متنوّعة.